إيمانيات حاج

عادل بن عبد العزيز المحلاوي

دار القاسم

الحمد لله شرع لعباده الطاعات، وسهل لهم طرق القربات، منّ عليهم بما شرع، وبيّن لهم السبيل المتَّبع, والصلاة والسلام على خير من صلى وصام، وحج إلى بيت الله الحرام.

وبعد:

فإن الحج إلى بيت الله الحرام منحةٌ إلهية ، ومنّةٌ ربانيةٌ. بها تُرفع الدرجات، وتُقال العثرات، وتُكفّر السيئات.

جعلها الله عبادةٌ ماليةٌ وبدنيةٌ، فيها السفر ومفارقة الديار,يخلّف العبدُ وراءه أهلَه وولدَه، يستخلف عليهم ربه – وهونعم المولى ونعم الحفيظ.–

يفرّغ نفسه أياماً معدودات ليؤدي ما أوجبه عليه ربه في هذا الركن الجليل، يتأسى فيها بالأنبياء، ويسلك سبيل الأصفياء.

يتنقل فيها بين عبادات عظام ما بين – إحرام، وطواف,وسعي، ووقوف، ومبيت، ورمي للجمار.–

فيه مواطن لإجابة الدعاء، ومواقيت لمغفرة الذنوب ومحو الآثام.

فيا لله كم سعُد فيه من خلق، ورُحم فيه من عبد، وربح فيه من تاجر. كم حُطت فيه من خطايا لعاصين، وتيب عنده على مذنبين.

يرجع العبد منه كيوم ولدته أمه، ولم يرض الكريم سبحانه جزاءً لأهله إلا الجنة.

فأي فضيلة حازها الحجاج!

وأي كرامة تميز بها أهل ذلك القربان!

لله درُ ركـــائبٍ ســـارت بـهـــم
تطوي القفار الشاسعات على الدُجا
رحلوا إلى البيت الحرام وقد شجا
قلـب المتـيـم مـنـهـم مـا قد شجا
نزلـوا ببـابٍ لا يـخـيـب نزيلهُ
وقـلـوبـهُمُ بيـن المخـافـة والرجا

والحج أيها الحاج ليست شعائر مجرده، ولا عبادات جوفاء، بل هي وربي عبادات عظيمة، ومناسك جليلة، تطهُر فيها النفس من دنسها، ويسمو فيها القلبُ من أدرانه ، يتجرد الصادق فيها من دنياه، ويرتفع المنيب من حطامها الفاني، يعيش خلالها أجمل أيام عمره، ويحيا فيها أجمل ساعات دهره.

ولأجل إكمال فرضك على التمام، وأداء هذا النسك على وجه الكمال، كانت هذه الصفحات وسال المداد بهذه الكلمات.

أسأل الله أن يجعل فيها لقارئها الرشاد، وأن يؤدي فرضه على وجه السداد.

كتبه حامدا ربه مصليا على نبيه

عادل بن عبد العزيز المحلاوي

إمام وخطيب جامع الصائغ بأملج – منطقة تبوك

٠٥٠٤٣٩٢٢٦٠

addeel333@gmail.com

حساب تويتر @adelalmhlawi

الإخلاص في الحج :

معلوم لدى كل مسلم ومسلمة أن الله غنيٌّ عن عبادات العباد، وعن طاعات العاملين، فهي لا تزيد في ملكه، ولا يحتاجها لتقوية سلطانه، بل هي فضل من الله شرعها للعباد ليتقربوا بها زلفى لديه، وترتفع درجاتهم، وتكفُّر سيئاتهم، ففي الحديث القدسي يقول الله« يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني » : [مسلم] .

ولكمال غناه – عز وجل، سبحانه – لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً له وأُريد به وجهه. ولمّا كان الحج من الأعمال الظاهرة التي لا يمكن سترها لزم على العبد أن يراعي هذا الجانب عند أدائها، ويراقب نيته على الدوام حال فعلها.

والمتأمل لآيات الحج وأحاديثه يجد التنبيه لهذه المسألة ظاهراً، والتوجيه لهذا المسلك بيناً. تأمل في آيات الحج هي تشير إلى هذا المعنى الجليل يقول سبحانه: (وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ للهِ) [البقرة: ١٩٦]

ويقول: (وَإِذْ بَوَّأْنَا لإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ البَيْتِ أَن لاَّ تُشْرِكْ بِي شَيْئاً)[الحج : ٢٦]

وفي حديث أبي هريرة ﷺ قال: سمعت النبي ﷺ يقول « من حج لله، فلم يرفث ولم يفسق، رجع كيوم ولدته أمه » [البخاري].

فتأمّل قوله ﷺ « من حج لله » وحده لا شريك له لا للمدح والثناء، أو للنفس وحظوظها من تغيير الجو والتعارف على الأماكن، والنظر إلى تجمعات الناس، كل هذا يجب تطهير النفس منه عند أداء هذا الركن العظيم، بل يجب أن تكون النية طلب رضا الله تعالى، والفوز بفضائل هذه العبادة الجليلة.

ولقد امتثل رسول الله ﷺ هذا – وهو إمام المخلصين – واستحضره في جميع مناسك حجه.

يقول جابر ﷺ وأرضاه عن تلبية رسول الله «فأهلَّ بالتوحيد لبيك اللهم لبيك.... » [مسلم].

قال ابن عمر ﷺ « لا يزيد على هذه الكلمات » [البخاري ومسلم]

وفي حديث أنس ﷺ - مرفوعًا- قال« اللهم حجة لا رياء فيها ولا سمعة »:

[الصحيحة ٢٦١٧]

قال رجل لابن عمر رضي الله عنهما: ما أكثر الحاج، فقال: ابن عمر: ما أقلهم، ثم رأى رجلاً على بعير على رحل رث خطامه حبال، فقال: لعل هذا.

و قال شريح: الحاج قليل والركبان كثير، ما أكثر من يعمل الخير، و لكن ما أقل الذين يريدون وجهه.

خليلي قطاع الفيافي إلى الحمى

كثير وأما الواصلون قليل

موقف وعبرة :

"كان بعض المتقدمين يحج ماشيًا على قدميه كل عام فكان ليلة نائمًا على فراشه فطلبت منه أمه شربة ماء فصعب على نفسه القيام من فراشه لسقي أمه الماء فتذكر حجه ماشيًا كل عام و أنه لا يشق عليه، فحاسب نفسه فرأى أنه لا يهوّنه عليه إلا رؤية الناس له، و مدحهم إياه فعلم أنه كان مدخولًا" [لطائف المعارف ٢٠٣]

فأخلص أيها الحاج عملك،، وراقب نيتك، وتذكر عظيم فضل المخلصين، واسأله ربك في كل حين فهو سبحانه نعم المعين.

فضائل الحج :

الحج سبيل لمغفرة الذنوب وطريق لجنّة علاّم الغيوب. أياماً معدودات يقضيها الحاج بين تلك المناسك ليفوز بهذا الخير الجليل.

قد يأتي في نفسك كيف تُذهب هذه العبادة وهي أيام قليلة ذنوب أعوام مضت وسنين انقضت؟

والجواب: إنه كرم الكريم جل وعلا، وعطاء الحميد البر الرحيم.

ولقد حاز الحج على فضائل جليلة، وخُص بمزايا لم يجعلها الله لبعض العبادات كما ستراه هنا، فمن فضائله:

– أنه من أفضل الأعمال بعد الإيمان والجهاد. جاء في مسند أحمد، من حديث ماعز رضي الله عنه

وأرضاه عن النبيﷺ أنه سُئل أي الأعمال أفضل؟ قال: إيمان بالله وحده، ثم الجهاد، ثم حجةٌ بَرةٌ – أي مبرورة تفضل سائر الأعمال كما بين مطلع الشمس إلى مغربها »

– من فضائله أنه سبب عظيم لمحو الذنوب والآثام فعند البخاري ومسلم وغيرهما من حديث أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول« من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه» .

قال الحافظ في الفتح: أي بغير ذنب، وظاهره غفران الصغائر والكبائر والتبعات.

– من فضائله أنه سبب عظيم لدخول الجنة.

وفي البخاري ومسلم عنه أيضًا قال: قال رسول الله ﷺ « العمرة إلى العمرة كفارةٌ لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاءٌ إلاّ الجنّة»

ولكن تأمل أيها الناصح لنفسك، الراغب بفضل ربك، الشروط والقيود في الأحاديث فالفضل مشروط بحج بلا فسوق ولا معاص أو تعدٍ للحدود، وبر لهذه العبادة من أولها إلى آخرها، ولذا قال القرطبي عند قوله ﷺ « الحج المبرور ليس له جزاء إلاّ الجنة» . هو الحج: الذي وُفيت أحكامه ووقع موقعًا لما طُلب من المكلف على الوجه الأكمل.

أيها الحاج الموفق:

ولئن كان تكميله على الوجه الأكمل لا يكون إلا بعد مشقة وتعب إلاّ أن من تأمّل في فضائله سعى بصدق الصادقين، وطلب المخبتين للفوز بهذا الخير، وإن حصل منه خلل أو تقصير بادر بالتوبة والاستغفار، والندم على ما فات والعزم على إكمال بقيته على أكمل حال. وأختم لك هذا الفصل، بهذا الحديث الذي تتقاصر العبارات عن شرحه، وتعجز الكلمات عن وصف عظيم منّة الرحمن فيه.

تأمله وعش معه بقلبك قبل بصرك وسمعك، لترى أي طاعة وُفقت لها، وأي قُربة قد يُسرت لك.عش معه بكل لفظة من ألفاظه، وكل جملة من جمله،وافرح بكل بشرى من بشائره.

روى ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنت جالسا مع النبي ﷺ في مسجد منى فأتاه رجلٌ من الأنصار ورجلٌ من ثقيف فسلما ثم قالا: يا رسول الله جئنا نسألك، فقال« إن شئتما أخبرتكما بما جئتما تسألاني عنه فعلت، وإن شئتما أن أمسك وتسألاني فعلت »

فقالا: أخبرنا يا رسول الله: فقال الثقفي للأنصاري سل فقال: أخبرني يا رسول الله فقال« جئتني تسألني عن مخرجك من بيتك تؤم البيت الحرام وما لك فيه، وعن ركعتيك بعد الطواف وما لك فيهما، وعن طوافك بين الصفا والمروة وما لك فيه، وعن وقوفك عشية عرفة وما لك فيه، وعن رميك الجمار وما لك فيه، وعن نحرك وما لك فيه مع الإفاضة» فقال: والذي بعثك بالحق لعن هذا جئت أسألك.

قال عليه الصلاة والسلام " فإنك إذا خرجت من بيتك تؤم البيت الحرام لا تضع ناقتك خفا ولا ترفعه إلا كتب الله لك به حسنة ومحا عنك خطيئة "

وأما ركعتاك بعد الطواف كعتق رقبة من بني إسماعيل عليه السلام وأما طوافك بالصفا والمروة كعتق سبعين رقبة. وأما وقوفك عشية عرفة فإن الله يهبط إلى سماء

الدنيا، فيباهي بكم الملائكة يقول: عبادي جاؤوني شُعثا من كل فج عميق، يرجون جنتي، فلو كانت ذنوبكم كعدد الرمل، أوكقطر المطر، أو كزبد البحر لغفرتها، أفيضوا عبادي مغفوراً لكم ولمن شفعتم له. وأما رميك الجمار فلك بكل حصاة رميتها تكفير كبيرة من الموبقات.

وأما نحرك فمذخورٌ لك عند ربك. وأما حلاقك رأسك فلك بكل شعرة حلقتها حسنة ويمحى عنك بها خطيئة .

وأما طوافك بالبيت بعد ذلك فإنك تطوف ولا ذنب لك، يأتي ملك حتى يضع يديه بين كتفيك فيقول اعمل فيما تستقبل فقد غفر لك ما مضى " رواه الطبراني في الكبير والبزار واللفظ له. وقال الألباني فيصحيح الترغيب: (حسن لغيره).

فهل تأملت هذه الفضائل، وعرفت هذا الفضل الذي ساقه الله إليك؟

آداب الحج :

للحج آدابٌ منها ما هو واجب ومنها ما هو مستحب، والمتاجر مع ربه، والناصح لنفسه حريصاً على الإتيان بكل أدب سواءٌ كان واجباً أو مستحبا ليعظم له الأجر ويكمل له الثواب.

فمن هذه الآداب:

" تعظيم شعائر الله والإتيان بها بقلب حاضر ونفسٍ خاشعة وهذا التعظيم من دلائل التقوى و(إنما يتقبل الله من المتقين). يقول سبحانه: (ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ) [الحج:٣٢]

ولقد كان هذا الأمر ظاهراً بيناً في حجه عليه الصلاة والسلام ومن ذلك: اغتسالهﷺ عند الإحرام، وتلبيده لرأسه.

والتلبيد:جعل شيء في الشعر كالصمغ ونحوه، ليجتمع الشعر ويسكن ولا ينتشر أو يقع فيه قمل أثناء الإحرام.

ومنها: – سوقه للبُدن ليهديها من ذي الحليفة ميقات أهل المدينة وإشعاره وتقليده لبعضها بيده الشريفة.

ومنها: – لهجه بالتلبية من لدن دخوله في النسك إلى حين رميه جمرة العقبة يوم النحر.

ومنها:– اغتساله قبل دخول مكة ليزيل عنه شعث السفر.

ومنها: – تطيبه لزيارة البيت يوم النحر بعد حله الأول.(انظر أحوال النبيﷺ في الحج فيصل البعداني ص ٢٥)

ومن الآداب الواجبة: الحرص على البر في الحج:

يقول ابن رجب في اللطائف:

وإنما يكون الحج مبروراً باجتماع أمرين فيه:

أحدهما: الإتيان بأعمال البر وهذه تشمل أمرين:

١- الإحسان إلى النّاس وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول: إن البر شيءٌ هين وجه طليق وكلام لين. وهذا يُحتاج إليه في الحج كثيراً، أعني معاملة النّاس بالإحسان بالقول والفعل.

٢- فعل الطاعات كلها.

الثاني: الذي يكمل أمر الحج ويكون مبروراً: اجتناب أفعال الإثم فيه من الرفث والفسوق والعصيان.

ومن آداب الحج:

ما جاء عن جعفر الباقر - رحمه الله - حيث قال: ما يعبأ من يؤم هذا البيت إذا لم يأت بثلاث: ورع يحجزه عن معاصي الله، وحلم يكف به عن غضبه، وحُسنُ الصحبةِ لمن يصحبه من المسلمين.

قال ابن رجب: فهذه الثلاثة يُحتاجُ إليها في الأسفار، خصوصاً في سفر الحج فمن كملها فقد كمُل حجه وبر.

ومن آداب الحج:

نفع النّاس بجميع أنواع النفع، والصبر على أذاهم، فيجتمع في هذا المكان الملايين من المسلمين من مشارق الأرض ومغاربها عربهم وعجمهم وعالمهم وجاهلهم. والمتاجر مع الله ﷻ ينفع النّاس بجميع أنواع النفع.

وأعلاه وأرفعه: نفعهم دينياً بدلالتهم على الخير ونصحهم وحسن توجيهم والأخذ بأيديهم إلى كل خير وصلاح، ما أجمل تلك المناشط والمحاضرات في المخيمات، وما أروع صور المحتسبين وهم يوزعون الأشرطة النافعة والكتيبات المفيدة، فليحتسب كل عامل عمله الذي يقدمه في هذه الأيام.

ومن سبل النفع: النفع المالي والجسدي فتعين الضعيف، وتنفق على الصاحب والمحتاج.

ومن سبله: الدلالة للتائه والإرشاد للضال.

وفي الجملة كل نفع تستطيع فعله هذه الأيام فلا تقصر فيه.

ومضه :

ماذا أعددت لحجك هذا العام لنفع إخوانك، وكم من الأموال هيئتها لإنفاقها على المحتاجين؟

الحج وذكريات الأنبياء عليهم الصلاة السلام :

أيها الحاج:

استحضر وقد دخلت هذه العبادة وصرت تؤدي هذه الشعيرة، أنه قد سبقك لها سادات الخلق، وصفوة البشر– أنبياء الله ورسله – فمن مثلك وأنت تتأسى بهم، وتسلك سبيلهم، وتهتدي بهديهم.

يقول عليه الصلاة والسلام« صلى في مسجد الحنيف سبعون نبيا » [رواه الطبراني وهو في صحيح الترغيب]

لقد صاروا إلى تلك الديار ووصلوا تلك المنازل. فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال كنا مع النبيﷺ بين مكة والمدينة فمررنا بواد فقال « أي واد هذا؟ »

قالوا: وادي الأزرق.

قال: « كأني أنظر إلى موسىﷺ فذكر من طول شعره شيئًا – لا يحفظه داود – واضعاً إصبعه في أذنه له جؤار إلى الله بالتلبية مارا بهذا الوادي »

قال: ثم سرنا حتى أتينا على ثنية. فقال: «أي ثنية هذه ؟ »

قالوا: ثنية هَرشى أو لِفت.

قال : «كأني أنظر إلى يونسﷺ على ناقة حمراء عليه جُبّة صوف وخطام ناقته خُلبة مارا بهذا الوادي ملبيًا » [رواه ابن ماجه بإسناد صحيح وابن خزيمة واللفظ لهما] قال في صحيح الترغيب: حديث صحيح.

وعن أبي موسىﷺ قال: قال: رسول اللهﷺ: «لقد مر بالروحاء سبعون نبياً فيهم نبي الله موسى عليه السلام حفاة عليهم العباء يَؤمون بيتَ الله العتيق» [رواه أبو يعلى والطبراني]. قال في صحيح الترغيب حديث حسن.

ومن عظمة هذا النسك أنك متأسٍّ برسولك فيه الذي قد علمك كل شعيرة فيه، وكل منسك تفعله وهو القائل« خذوا عنى مناسككم» [أخرجه مسلم].

فاحمد الله على هذا الفضل، واشكره على هذه المنة.

الرحلة المباركة :

- أيها الحاج إلى بيت الله الحرام، تذكر وقد هيِّئت لك الأسباب، وسهل لك طريق الوصول إلى بيته، وأداء هذا النسك العظيم.
- تذكر من بعُدت ديارهم، ونأت بهم أوطانُهم، وودوا أن لو كانوا مكانك.
- إن من المسلمين اليوم من يموت ولم تتمتع عيناه برؤية بيت الله المعظم، ولا تلك المشاهد والتي ستحط فيها رحلك.
- تذكر أن من المسلمين من منعتهم قلة النفقة من الوصول وقد جعلها الله في يدك.
- تذكر من أعجزته صحته عن أداء العبادة وحرمه المرض الوصول إلى هنا، وقد أمدك الله بالصحة والعافية، لتمشي على قدميك وتطوف وتسعى وتقف مع المسلمين.
- تذكر غيرهم الكثير الكثير ممن تنوعت عندهم الموانع, واختلفت لديهم الأعذار، وقد منّ الله عليك بالتوفيق والوصول إلى مهبط الوحي، ومحل تنزل الرحمات.

ولله در ذلك الشاعر الذي قد تقطع فؤاده وهو يصدع بهذه الأبيات يوم رأى الراحلين إلى بيت الله العتيق، فجادت قريحته بهذه الأبيات:

يَـــا رَاحِـلِـيـنَ إِلـــى مِنـى بِقِيَـادي
هَيجتُمُوا يـومَ الـرحيـلِ فُؤَادِي
سِـرْتُـم وسَـــارَ دَلِيلُـكُم يا وَحْشَتِي
الشَّـوقُ أقلقني وصَـوتُ الحَادِي
حَرَمْتُمُوا جِفْنِي المنـامَ بِبُعدكُم
يا سـاكنينَ المُنْحَنَـى والـوادِي
ويلوحُ لـي مـا بينَ زمـزمَ والصَّفَا
عِنْدَ المَقَـامِ سَمعتُ صَوْتَ مُنَادِي
ويقـولُ لـي يـا نـائـمٌ جدَّ السُّرَى
عـرفـاتُ تجلو كُلَّ قلْبٍ صَادِي
مَنْ نالَ مِنْ عرفـاتَ نظرةَ ساعةٍ
نـالَ السُّـرورَ ونـالَ كُلَّ مُرادِي
تاللهِ ما أحْلى المبيتَ علـى منـى
فـي ليـلِ عيـدٍ أبْـرَكِ الأعيَادِ

ضَحُّوْا ضحايَاهُمُ و سالَ دماؤُهــا
وأنــا الـمُـتَـيَّـمُ قـد نَحَرْتُ فُؤادِي
لَبِسُوا ثيابَ البيضِ شَارَاتِ الرِّضَا
وأنَــا الـمُــلـوَّعُ قد لبسْتُ سَوَادِي

لقد هاجت نفوس المشتاقين، وتقطعت.. قلوب الصادقين,عن تلك الديار فاحمد الله أيها السائر إلى البيت العتيق، واعقد العزم على أداء هذا الركن العظيم على أحسن حال وأكمله.

قصة وعبرة :

يقول أحدهم: سافرت مرة إلى أحد دول شرق آسيا فوجدت رجلاً يجمع أموالاً ليحج إلى بيت الله الحرام، قال: فقلت له: كم تستغرق من السنوات لجمع الأموال حتى تحج إلى بيت الله ؟

قال: أما أنا فلن يدركني الزمان حتى أجمع المال لأحج ولكن أنا أبدأ بتجميع المال ثم يأتي ابني من بعدي ويُكمل الجمع حتى يجتمع عنده ما يكفيه ليحج إلى بيت الله الحرام. فهل عرفت منّة الله عليك ؟

الدخول في النسك :

الإحرام: هو نية الدخول في النسك.

بمعنى أن المحرم حال تلبيته بهذا النسك قد دخل في هذه العبادة ومنع نفسه من أشياء تعبداً لله تعالى، فأصبح في ثواب في كل لحظة من لحظاتها، وكل دقيقة من دقائقها وقد أشار الشيخ ابن سعدي – رحمه الله – إلى هذا المعنى.
فعظِّم هيئة الإحرام، وقدّر حال هذا النسك، وكما أنك تجرّدت من المخيط، فتجرد من كل عمل يحول بينك وبين الفوز بفضائل هذه العبادة الجليلة.

تأمل في فضل حالك وأنت محرم، يقول عليه الصلاة والسلام « ... وما من مؤمن يظل محرماً إلا غابت الشمس بذنوبه » [الترمذي].

فمجرد تلبسك بهذا النسك، وبقائك محرمًا هذه الأيام فقد هيَّئا الله لك سببًا من أسباب مغفرة الذنوب وهذا فضل من الكريم سبحانه.
وأكثر من التلبية وارفع بها صوتك أيها الرجل فهي شعار الحج، ومن أفضل أعماله.
سئل النبي ﷺ أي الأعمال أفضل؟ قال « العج والثج » .
والعج: رفع الصوت في التلبية.

والثج: نحر البدن وإسالة دماء الهدايا.

بل إن الكون كله يلبي مع الملبي ويردد مع المحرمين تعظيماً لهذا الشعار، وإظهاراً لفضل هذه العبادة، وكأنك صرت كالدال على هذه الفضيلة فلبت معك سائر المخلوقات حولك.

ففي الحديث: يقول عليه الصلاة والسلام «... ما من ملبيّ يلبي إلا لبى ما عن يمينه وشماله من حجر أو شجر أو مدر حتى تنقطع الأرض من ههنا وههنا عن يمينه وشماله» . [الترمذي] .

وتشهد لك بين يدي الله تعالى يقول عليه الصلاة والسلام « ما من مؤمن يلبي لله بالحج إلَّا شهد له ما على يمينه وشماله إلى منقطع الأرض » .[ابن خزيمة].

أرأيت عظيم النسك الذي دخلت فيه ؟

فلماذا يبخل الحجاج على أنفسهم، ويتركون رفع الصوت بها، وإعلانهم تعظيم الله وإظهار شعائره.

دخول مكة :

وإذا ما أقبلت أيها الحاج على بيت الله الحرام، ورأيت ذلك البيت المعظم، هاجت نفسك وفاضت عبرتك فرحاً لايبلوغ تلك الديار.

ولمَّـــا رأتْ أبصـارُهُم بيتَهُ الذي
قلـــوبُ الـــورَى شـوقًا إليهِ تَصرَّم
كـأنـهـمُ لـمْ يَـنْـصَبُـوا قـطُّ قبْلَهُ
لأنَّ شَـقـاهُـمْ قـد تـــرحَّـلَ عنْـهُـمُ
فلِلَّهِ كـــم مِـــن عَبْـرةٍ مُهْـرَاقةٍ
وأخـــرى على آثـــارهـــا لا تـتـقَدَّمُ
وَقـدْ غَرِقتْ عينُ المُحِبِّ بدَمْعِها
فـيـنـظـرُ مِن بـيـنِ الدُّموعِ ويُسْجِمُ
إذا عَـايَـنَتْهُ الـعَيْـنُ زالَ ظـلامُها
وزالَ عـــن الـقلـــبِ الـكئيبِ التألُّمُ
فلا يَعْرِفُ الطرْفُ المُعاينُ حُسْنَهُ
إلى أن يعودَ الطرْفُ والشوقُ أعْظَمُ

استحضر بقلبك هذا الفضل، وعش بفؤادك هذا العطاء,وتلك المنّة.

- هل هي سهلة أن تنظر عياناً إلى بيت الله الحرام؟
- وهل هو أمر بسيط أن تسير في مكان سار قبلك فيه الأنبياء والصالحون؟
- هل هو هيّنٌ أن تخطّ قدماك في مكان كُفرت فيه سيئات,ومُحيت فيه آثام؟

إنك ستقبل بعد قليل الحجر، وتمسح بيدك الركن, ستتمتع بالنظر إلى بيت الله المعظم الذي يتوجه إليه النّاس كل يوم خمس مرات، وستطوف ببيت أمر الله خلقه بالطواف فيه معلناً التوحيد لله وحده، لأنك تطوف بيتاً قد دعاك الله إليه، ونهاك عن الشرك فيه، وأمر بتطهيره للقائمين وللعاكفين والركع السجود.

فقال ﷻ(وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لا تُشْرِكْ بِي شَيْئاً وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ...) [الحج ٢٦].

جعله مثابةً للناس وأمناً، لا يقضون منه وطراً، ولا تكاد النفوس ترجع منه حتى تشتاق إليه مرة أخرى، قال سبحانه: (...وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْناً وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًى...)[البقرة ١٢٥] .

خراب العالم بخرابه، وعمارها وقيامها بقيامه قال سبحانه: (جَعَلَ اللهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَاماً لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ...) [المائدة]٩٧

فهل علمت عظمة هذا البيت، وأجللت المكان الذي أنت فيه؟

أيها الطائف بالبيت، المعظّم لهذا النسك: تذكّر حال طوافك «أنك ما رفعت قدماً ولا وضعتها إلا كتب الله لك بها عشر حسنات وحط عنك عشر سيئات ورفع لك بها عشر درجات» جاء بهذا حديث صحيح عند الإمام أحمد.

« وإذا مسحت الحجر والركن اليماني حُطت عنك الخطايا حطاً » [ابن حبان]

وكل طواف لك به ثواب« عدل رقبة وعتقها » [أحمد].

فاستحضر هذه الفضائل عند طوافك، وتذكر هذه العطايا عند عبادتك هذه، وليمتلئ القلب شكراً لله، وليكن اللسان لاهجاً بذكره تعالى، رافعاً الدعوات بأن يقبل العمل ويشكر السعي فإنه جواد كريم.

لتكن الجوارح خاشعة، والأبصار قد غضت عن المحرمات. كم يتألم القلب وهو يرى أحوال الطائفين فهذا قد زاحم وكأنه في معركة، وذاك يسب ويشتم من حوله، وآخر لم يراع حرمة المكان والزمان فأطلق لبصره العنان ينظر في النساء, والمرأة لم تكمل حجابها وفرطت في سترها، والجوالات تعلو أصواتها والمحادثات تتوالى معها.

أيها الحاج المبارك: إن طوافك عبادةٌ عظيمةٌ وقربةٌ جليلةٌ فأحسن هذه العبادة، وأكمل معها ذينك القربة، واجمع بين عبادة القلب واللسان، والحفظ للجوارح والخضوع لرب العالمين.

يقول عليه الصلاة والسلام «إنما جعل الطواف بالبيت وبين الصفا والمروة ورمي الجمار لإقامة ذكر الله » [أبو داود].

فإذا ما انتهيت من طوافك فصلِّ خلف المقام إن تيسر لك وإلا ففي أي مكان من الحرم، لأن المحافظة على ذات العبادة أولى من مكانها، واقرأ فيهما بسورتي (الكافرون والإخلاص) لتجدد معاني التوحيد في قلبك، ثم اقصد الصفا لتبدأ به سعيك كما فعل نبيك ممتثلاً أمر الله بالابتداء به حيث قال: (إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا...) [البقرة: ١٥٨] واقرأ هذه الآية ، وقل :« أَبْدَأُ بِمَا بَدَأَ اللهُ بِهِ » متأسيًا بنبيك عليه الصلاة والسلام.

فإذا ما رقيت عليه ونظرت إلى بيته المعظم ارفع يديك كهيئة الدعاء وهلل وكبّر ربك واسأله وادعوه (افعل ذلك ثلاثًا – الدعاء والذكر –) فهذا المكان من مواطن الإجابة، يقول جابر ﷺ في وصفه لحجة النبي عليه الصلاة والسلام ..."فَلَمَّا دَنَا مِنَ الصَّفَا قَرَأَ: (إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ) « أَبْدَأُ بِمَا بَدَأَ اللهُ بِهِ » فَبَدَأَ بِالصَّفَا فَرَقِيَ عَلَيْهِ حَتَّى رَأَى الْبَيْتَ فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ فَوَحَّدَ اللهَ وَكَبَّرَهُ وَقَالَ« لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ، أَنْجَزَ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ » ثُمَّ دَعَا بَيْنَ ذَلِكَ قَالَ مِثْلَ هَذَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ثُمَّ نَزَلَ إِلَى الْمَرْوَةِ حَتَّى إِذَا انْصَبَّتْ قَدَمَاهُ فِي بَطْنِ الْوَادِي سَعَى حَتَّى إِذَا صَعِدَتَا مَشَى حَتَّى أَتَى الْمَرْوَةَ فَفَعَلَ عَلَى الْمَرْوَةِ كَمَا فَعَلَ عَلَى الصَّفَا حَتَّى إِذَا كَانَ آخِرُ طَوَافِهِ عَلَى الْمَرْوَةِ..." [مسلم].

وكن معظماً ربك حال سعيك، متأسياً بنبيك – عليه الصلاة السلام – فقد كان يمشي معظماً ربه، مثنياً عليه، وإذا ما انصب في الوادي – وهو اليوم بين العلمين الأخضرين– جرى حتى يدور إزاره من شدة السعي، وليكن اللسان يلهج بالذكر، والدعوات تُرفع إلى الله تعالى.

وإذا كنت قد أقمت في منى قبل يوم عرفة – وهو السُنّة– فاغتنم بقية وقتك بالذكر والدعاء، وتلاوة القرآن، فإنك في مكان مبارك معظّم هو في حدود الحرم، الحسنة فيه تضاعف فأكثر منها، والسيئة فيه معظّمة فاحذرها.

واستعد لليلة عرفة بالنية الطيبة وتجديد التوبة، والعزم على اغتنام ذلك اليوم، وطهّر قلبك مما سوى الله تعالى، ومن كل خلق دنيء يحول بينك وبين رحمته تعالى.

يوم عرفة :

وما أدراك ما يوم عرفة!.. إنه اليوم الذي تتقاصر عنده عبارات الأدباء، وبلاغة البلغاء، ويعجز عن وصفه بيانهم, وتتحسر وتكل عن التعبير كتاباتهم.

فهو يوم عظيم، ومشهد جليل، وموعد رفيع. إنه اليوم الذي أكمل الله به الدين، وأتم على العباد النعمة, وضمن فيه التبعة، وأقال ساعته العثرة، وأجاب في يومه الدعوة، وباهى بجمعه الملأ الأعلى. يوم من أيام الإسلام الخالدة، وزمان من أزمنة الله الفاضلة.

ما ظنك بيوم ينزل فيه ربنا إلى السماء الدنيا نزولاً يليق بعظمته وكبريائه وجلاله ينظر إلى العباد وقد جاؤوا من كل فج عميق، يسمع دعواتهم وقد رُفعت، وإلى أنوفهم وقد رُغمت، وإلى أيديهم وقد ذُلت. يسمع ضجيج أصواتهم، على اختلاف دعواتهم، وتفنن حاجاتهم، يرى عظيم حاجاتهم إليه، وشدة رغبتهم بمغفرته, واضطرارهم لإجابة دعواتهم.

تسيل أعينهم بالبكاء، وتلهج ألسنتهم بالثناء. فبرحمته يقبل تلك الدعوات، وبمنته يغفر تلك الزلات.

جاء في حديث أنس بن مالك ﷺ قال : « وقف النبي بعرفات، وقد كادت الشمس أن تؤوب فقال يا بلال: أنصت إلي الناس فقام بلال فقال: أنصتوا لرسول الله ﷺ فأنصت الناس فقال: « معشر الناس أتاني جبرائيل عليه السلام آنفًا فأقرأني من ربي السلام وقال إن الله عز وجل غفر لأهل عرفات وأهل المشعر وضمن عنهم التبعات »

فقام عمر بن الخطاب ﷺ فقال يا رسول الله: هذا لنا خاصة ؟

قال «هذا لكم ولمن أتى من بعدكم إلى يوم القيامة » :

فقال عمر بن الخطاب ﷺ : كثر خير الله وطاب» . وقال الألباني في صحيح الترغيب: صحيح لغيره.

فأي فضل أعظم من هذا!

وأي عطاء فوق ذاك العطاء!

أكثر من قول: « لا إله إلا الله » فهي خير الذكر والدعاء هذا اليوم، كما صح عن رسول الله ﷺ .

في ذلك الموقف يباهي الله بك ملائكته، فعن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: إن الله يباهي بأهل عرفات أهل السماء فيقول لهم: انظروا إلى عبادي جاؤوني شعثًا غبرًا » رواه أحمد وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال: صحيح على شرطهما.

وهو لا يباهي بأهل المعاصي والمنكرات، بل في هذه المباهاة إشارة إلى مغفرة ذنوبهم كما أشار إلى ذلك ابن عبد البر رحمه الله تعالى.

ومضة :

قال ابن رجب في اللطائف: قال ابن المبارك: جئت إلى سفيان الثوري عشية عرفة وهو جاث على ركبتيه وعيناه تهملان فقلت له: من أسوأ هذا الجمع حالًا؟ قال: الذي يظن أن الله لا يغفر لهم.

وروي عن الفضيل أنه نظر إلى تسبيح الناس وبكائهم عشية عرفة فقال : أرأيتم لو أن هؤلاء ساروا إلى رجل فسألوا دانقًا - يعني سدس درهم - أكان يردهم قالوا: لا .

قال: والله للمغفرة عند الله أهون من إجابة رجل لهم بدانق» ، أي أن الله أكرم من أن يرد هذا الجمع دون إجابة ، دعائهم، وتحقيق مطالبهم.

وإني لأدعو الله أطلب عفوه

وأعلـــم أن الله يعفـــو و يغفـــر

لئـن أعظم النـاس الذنوب

فإنها وإن عظمت في رحمة الله تصغر

من لطائف الرحمن في هذا اليوم العظيم: أن جعله أكثر أيامه عتقاً لعبيده من النار، فعن عائشة – رضي الله عنها – أن رسول الله ﷺ قال: ما من يوم أكثر من أن

يعتق الله فيه عبيداً من النار من يوم عرفة وإنه ليدنو يتجلى ثم يباهي بهم الملائكة فيقول: ما أراد هؤلاء ؟ ... » رواه مسلم والنسائي وابن ماجه.

وزاد رزين في جامعه فيه: اشهدوا يا ملائكتي أني قد غفرت لهم «

فتأمل بقلبك هذا الفضل، وعش بجَنانك هذه الكرامة, عتقاء الله من ناره في ذلك اليوم كثير، وإحسانه سبحانه فيه عظيم، وعطاياه جمة.

فالـرقـاب قد أُعتقت

والدعوات قد أُجيبت

والمغفرة قـد نزلت

والمباهاة بهم قد حصلت، فأي فضل أسمى من هذا الفضل!؟

وأي كرامة أجل من تلك الكرامة!

يقول ابن القيم في ميميته:

ويـدْنُـو بـهِ الـجبّـارُ جَلَّ جلالُه ... يُباهِي بهمْ أمْلاكَه فهو أكرَمُ

يقـولُ عِبـادِي قدْ أتـونِي مَحَبَّةً ... وَإنِّـي بـهـمْ بَرٌّ أجُودُ وأرْحَمُ

فأشْهِـدُكُمْ أنِّـي غَفَرْتُ ذنُوبَهُمْ ... وأعْطَيْتُهُمْ مـا أمَّلوهُ وأنْعِمُ

فبُشراكُمُ يا أهلَ ذا المَوقفِ الذِي ... به يَغفرُ اللهُ الذنوبَ ويَرحمُ

فـكـمْ مِن عـتيقٍ فيه كَمَّلَ عِتقه ... وآخرَ يُسْتشفى وربُّكَ أرْحَمُ

فبأي حال ستكون ذلك اليوم، وبأي قلب ستعيش تلك الساعات؟

إن مما يحزن النفس في يوم عرفة أن تشاهد كثيراً من الحجاج قد استغرقوا في نوم عميق، وأضاعوا الوقت بحديث جانبي طويل، انشغلوا بجوالاتهم والكاميرات, واستبدلوا الذكر والتسبيح بالحديث الدنيوي، والمناجاة بالضحك والمزاح، أضاعوا ساعات هذا اليوم بما لا يفيدهم، وقطعوا وقتهم الثمين ذاك بما لا ينفعهم.

أيها الحاج الكريم:

إنها ساعات قليلة وتغيب شمس ذلك اليوم، ولحظات يسيرة وينقضي ذلك النهار، فاغتنمه بخير ما بحضرتك، وأجّل كل حديث واتصال مع البشر، وتفرغ لحاجتك، واطرح مسألتك فيوشك أن ينقضي ذلك اليوم وتغيب شمسه.

السير إلى مزدلفة :

فإذا ما انقضى ذلك اليوم العظيم، وامتلأ قلبك بحسن الظن بالله أنه قد أجاب دعوتك، وغفر زلتك، وقضى حاجتك.

فلتكن السكينة والوقار على الجوارح والجنان، وليكن الذكر والدعاء والاستغفار يلهج به اللسان، وليمتلئ القلب شكراً وتعظيماً لربنا الرحمن أن وفقك لذلك المقام، وخصك بهذه العطية والإكرام.

يقول جابر ﷺ :واصفاً حال رسول الله ﷺ في يوم عرفة " ...فَلَمْ يَزَلْ وَاقِفًا حَتَّى غَرَبَتْ الشَّمْسُ وَذَهَبَتْ الصُّفْرَةُ قَلِيلًا حَتَّى غَابَ الْقُرْصُ وَأَرْدَفَ أُسَامَةَ خَلْفَهُ وَدَفَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَقَدْ شَنَقَ لِلْقَصْوَاءِ الزِّمَامَ حَتَّى إِنَّ رَأْسَهَا لَيُصِيبُ مَوْرِكَ رَحْلِهِ وَيَقُولُ بِيَدِهِ الْيُمْنَى أَيُّهَا النَّاسُ، « السَّكِينَةَ السَّكِينَةَ » كُلَّمَا أَتَى حَبْلًا مِنْ الْحِبَالِ أَرْخَى لَهَا قَلِيلًا حَتَّى تَصْعَدَ حَتَّى أَتَى الْمُزْدَلِفَةَ... » [رواه مسلم].

فالزم هذا الهدي، وتشبث بهذا السبيل، إن ما يحصل من كثير من الناس من زحام وسرعة وإزعاج وتعد عليهم، ليس هو السبيل الأرشد، ولا السلوك الأمجد، بل الخير كل الخير في لزوم طريق المصطفى عليه الصلاة والسلام فسر بسكينة ووقار، ملبياً لربك حتى تصل مزدلفة.

بمـــزدلفـــات أقبـــل الـوفـد مقبلاً
ولاقت من البشرى النفوس اقتبالَها
أفاضوا دموعاً إذ أفاضوا مخافةً
من البَين أحيـــت للنفـوس اعـتلالَها

ليلة - جمع - مزدلفة :

فإذا وصلت إلى جمع - مزدلفة - وحطيت رحلك فيها, وصليت المغرب والعشاء، فمن عظيم فضل الله على عباده, وإحسانه عليهم، أن يزيدهم من خيره، ويضاعف عليهم إحسانه، فليلة جمع – ليلة مباركة، والمشعر الحرام مكان ذكره الرحمن في أعظم بيان، فقال سبحانه: (فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ) [البقرة: ١٩٨] .

إنها ليلة صباحها صباح خير يوم وأفضله وأعظمه عند الله تعالى.

نامها رسول الله ﷺ من أول الليل استعداداً ليوم النحر , فبت أيها الحاج بخير ليلة وأهنئ بأسعد الساعات.

تذكر كيف يبيت هذه الليلة خلقاً كيوم ولدتهم أمهاتهم, طاهرين مطهرين من الذنوب والخطايا، قد غُفرت ذنوبهم ومُحيت سيئاتهم، فأمّل بربك خيراً أن تكون أحدهم, وأحسن الظن بمولاك أن يجعلك في مقدم ركبهم.

يوم النحر :

وما أدرك ما يوم النحر، أفضل الأيام عند الله بمنطوق حديث رسول الله ﷺ ففي سنن أبي داود والنسائي يقول عليه الصلاة والسلام , « إن أفضل الأيام عند الله يوم النحر ثم يوم القر » : صححه الألباني.

فإذا ما طلع فجره فصلي صلاة الفجر في أول وقتها كما فعل قدوتك عليه الصلاة والسلام لتتفرغ للذكر والدعاء والحمد والثناء والاستغفار، واجلس بعد الصلاة ذاكراً ربك، وحامدًا مولاك، أكثر من قول: لا إله إلا الله، وسبحان الله، والحمد لله، والله أكبر وغيرها من الأذكار.. ففي حديث جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « أفضل الذكر لا إله إلا الله وأفضل الدعاء الحمد لله [ابن ماجه والنسائي].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله قال« : من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب، وكُتبت له مائة حسنة، ومُحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزًا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحدٌ بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك » [رواه البخاري ومسلم].

وعن عبد الله بن عمرو – رضي الله عنهما – قال: قال رسول الله ﷺ من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير مائتي مرة في يوم لم يسبقه أحد كان قبله، ولم يدركه أحد بعده إلا من عمل بأفضل من عمله » [رواه أحمد بإسناد جيد والطبراني].

وأكثر من قول« سبحان الله وبحمده »

فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «ألا أخبرك بأحب الكلام إلى الله ».

: قلت يا رسول الله أخبرني بأحب الكلام إلى الله، فقال« إن أحب الكلام إلى الله سبحان الله وبحمده » رواه مسلم والنسائي والترمذي إلا أنه قال «سبحان ربي وبحمده » : وقال حديث حسن صحيح

وأكثر من قول «سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر » .

فعن رجل من أصحاب النبيﷺ قال:« أفضل الكلام سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر » رواه أحمد. قال في صحيح الترغيب: وهو حديث صحيح.

وعن أم هانئ رضي الله عنها قالت: مر بي رسول الله ﷺ ذات يوم، فقلت: يا رسول الله: قد كبرت سني وضعُفت أو كما قالت، فمرني بعمل أعمله وأنا جالسة قال« سبحي الله مائة تسبيحة؛ فإنها تعدل لك مائة رقبة تعتقينها من ولد إسماعيل، واحمدي الله مائة تحميدة؛ فإنها تعدل لك مائة فرس مسرجة ملجمة تحملين عليها في سبيل الله، وكبري الله مائة تكبيرة؛ فإنها تعدل لك مائة بدنة مقلدة متقبلة، وهللي الله مائة تهليلة؛ قال أبو خلف: أحسبه قال: تملأ ما بين السماء والأرض، ولا يرفع يومئذ لأحد عمل أفضل مما يرفع لك إلا أن يأتي بمثل ما أتيت [رواه أحمد بإسناد حسن].

والنصوص في هذا كثيرة جدا، فأكثر من الذكر هنا، فهو مكان أحب الرحمن من عباده أن يذكروه فيه. وارفع يديك تستمطر العفو والمغفرة منه جل وعلا, مستحضرًا قول الله جل وعلا (...وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنْ الضَّالِّين) [البقرة: ١٩٨]

ففي هذه الأماكن استشعر الصالحون قبلك منّة الله عليهم، ولهجت ألسنتهم بذكرهم، تذكروا فضل الله عليهم أن هداهم للإسلام، ووفقهم لهذه الطاعات. كم من متألم في مشارق الأرض ومغاربها أعظم أمانيه أن يكون في هذا المكان الذي أنت فيه الساعة ليذكر ربه, ويسعد بمناجاة مولاه.

وفي قوله في سياق هذه الآيات في هذه المواضع« واستغفروا الله» إشارة واضحة إلى أن العبد مهما قدم من طاعة، وتقرب إلى الله بالقربة، يبقى مقصرًا في الأداء، لم يقم بحق ربه حق القيام، فيعالج هذا بالاستغفار، وربنا كريم غفار.

حتى إذا ما قاربت الشمس على الطلوع، وشارف النهار على الابتداء، قام العبد الصالح بعزيمة صادقة لأداء حق الله تعالى في هذا اليوم العظيم.

يوم النحر - يوم الحج الأكبر- أعظم الأيام عند الله تعالى, وما عظّمه الله تعالى إلاّ لعظم الأعمال وكثرتها فيه:

- ففيه تُرمى جمرة الكبرى.
- وفيه تذبح الهدايا والقرابين لله رب العالمين.
- وفيه يحلق ويقصر الحاج رأسه.
- وفيه يطوف بالبيت العتيق.

أعمال عظيمة، وقربات جليلة، يقوم بها الحجاج هذا اليوم، ويتقربوا بها لربهم. تَسِيرُ، وتعظيم الله قد ملأ قلبك، وذكر الله بالتلبية قد رطب لسانك.

يقول الفضل ﷺ :- عن نبيه – عليه الصلاة والسلام : «فلم يزل يلبي حتى رمى جمرة العقبة»

فإذا ما أقبلت على الجمرة الكبرى فاقطع التلبية وابدأ برمي الجمرة بسبع حصيات مكبرًا ربك عند كل رمية. معظماً مولاك عند هذه الشعيرة، فهي ليست رمياً لجمار مجردة من المعاني، بل فيها التأسي بالأنبياء الكرام عليهم الصلاة والسلام قبلك.

فعن ابن عباس – رضي الله عنهما – رفعه إلى النبي ﷺ قال: « لما أتى إبراهيم خليل الله – صلوات الله عليه وسلامه– المناسك عرض له الشيطان عند جمرة العقبة، فرماه بسبع حصيات حتى ساخ في الأرض؛ ثم عرض له عند الجمرة الثانية؛ فرماه بسبع حصيات حتى ساخ في الأرض، ثم عرض له عند الجمرة الثالثة؛ فرماه بسبع حصيات حتى ساخ في الأرض » قال ابن عباس رضي الله عنهما: الشيطان ترجمون وملة أبيكم إبراهيم تتبعون. [رواه ابن خزيمة في صحيحه والحاكم واللفظ له وقال : صحيح على شرطهما].

فإذا قصدت الحلَّاق لحلق رأسك فاحرص على حلق الرأس لا على تقصيره، لكي تفوز بالفضل العظيم، وتغتنم دعوات المصطفى الكريم عليه الصلاة والسلام للمحلقين ثلاث دون المقصرين.

ففي حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال اللهم اغفر للمحلقين »

قالوا: يا رسول الله: وللمقصرين.

قال: اللهم اغفر للمحلقين » .

قالوا: يا رسول الله: وللمقصرين».

قال : اللهم اغفر للمحلقين » .

قالوا:يارسول الله: وللمقصرين.قال وللمقصرين»[رواه البخاري ومسلم وغيرهما].

بل تأمل في فضلها مع حديث عبادة ﷺ : «وأما حلقك رأسك فإنه ليس من شعرك شعرة تقع في الأرض إلا كانت لك نورًا يوم القيامة» . وهو حديث صحيح.

وتقدم في حديث ابن عمر الصحيح أن النبي ﷺ قال : للأنصاري « وأما حلاقك رأسك فلك بكل شعرة حلقتها حسنة وتمحى عنك بها خطيئة »

فإذا ما أتممت الرمي والذبح والحلق أو التقصير، فطهر بدنك بالاغتسال، وطيب نفسك بأحسن أنواع الطيب لتطوف بالبيت العتيق يقول سبحانه: (ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ)[الحج: ٢٩]

وهكذا كان نبيك ممثلاً لأمر ربه، تقول عائشة – رضي الله عنها: كنت أطيب رسول الله ﷺ لإحرامه قبل أن يُحرم ولحله قبل أن يطوف بالبيت.

فما بال الناس تركوا هذا الهدي، وتركوا هذا التعظيم للطواف في البيت؟

فطف هذا اليوم تأسياً بنبي الله عليه الصلاة والسلام فقد طاف في هذا اليوم العظيم، ولتغتنم فضيلة فعل هذه العبادة في خاتمة العشر المباركة أعظم الأيام عند الله.

وقفه :

تأمل في أعمال هذا اليوم، وكثرتها وتنوعها، تعرف عندها لماذا جعل الله هذا اليوم خير الأيام وأفضلها عنده.

أيام التشريق :

أما أيام التشريق فهي الأيام الفاضلة التي أمر الله عباده أن يذكروه فيها، قال سبحانه: (وَاذْكُرُوا اللهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ...) [البقرة: ٢٠٣]

وقال ﷺ «أيام منى أيام أكل وشرب وذكر لله تعالى » [أخرجه مسلم] .

إن الذكر أيها الحاج عبادة لا تنقطع، وقربة لا تنتهي، هي من أعظم الطاعات عند الله تعالى، وأجل القربات عند المولى جل وعلا.

ولذا أمر الله بذكره كثيراً، فقال: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللهَ ذِكْراً كَثِيراً) [الأحزاب: ٤١] .

وأثنى على الذاكرين كثيراً، ووعدهم بالمغفرة والأجر العظيم، فقال سبحانه: (وَالذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً)[الأحزاب: ٣٥]

هو غرس الجنة، وأنواعه لا تُحصى، والحاج الناصح لنفسه يذكر ربه كثيراً في كل حال: أدبار الصلوات، وفي الصباح والمساء، وعند المناسبات. يذكره بتلاوة القرآن الكريم كثيرًا – وقد كان من السلف من يختم هذه الأيام.

يذكره بجميع أنواع الذكر المطلق والمقيد – وقد تقدم ذكر بعض أنوعه وفضله. يذكره بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يذكره بالدعاء، والاستغفار، يذكره عند ورود أمره ونهيه.

كبّره وعظّمه فقد كان عمر رضي الله عنه يكبر في قبته بمنى فيسمعه أهل المسجد فيكبرون، ويكبر أهل الأسواق حتى ترتج منى تكبيراً. وكان ابن عمر رضي الله عنهما يكبر بمنى تلك الأيام، وخلف الصلوات، وعلى فراشه، وفي فسطاطه ومجلسه وممشاه تلك الأيام، وكانت ميمونة رضي الله عنها تكبر يوم النحر وكان النساء يكبرن خلف أبان ابن عفان وعمر بن عبد العزيز ليالي التشريق مع الرجال في المساجد[صحيح البخاري] .

وفي هذه الأيام يتوسع النّاس، ويدخلون السرور على إخوانهم وأهليهم، يفرحون بما منّ الله عليهم من الخيرات من غير أشر ولا بطر، ولا تجاوز للحدود.

في أيام التشريق رمي الجمار:

تُرمى ثلاثة أيام لمن تأخر– وهو الأفضل –، ويومين للمتعجل – وهو جائز–، ولكن عليك أيها الحاج أن تعلم أن رمي الجمار ليس عملاً مجرداً، بل هو عبادة عظيمة، وقربة جليلة، وتقدم قوله عليه الصلاة والسلام «إنما جعل الطواف بالبيت وبين الصفا والمروة ورمي الجمار لإقامة ذكر الله»[أبو داود].

عظّم الله في قلبك وأنت ذاهب للرمي، كن آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، رافعاً صوتك بالذكر والتهليل,وليكن حالك في الرمي حال الإجلال لهذه العبادة، والتعظيم لهذه القربة.

وتأمل في فضائلها:

ففي حديث ابن عباس: "إذا رميت الجمار كان لك نورًا يوم القيامة". رواه البزار وهو صحيح.

وقد تقدم حديث ابن عمر الصحيح: « وإذا رمى الجمار لا يدري أحدٌ ما له حتى يوفاه الله يوم القيامة » هذا لفظ ابن حبان.

وأما لفظ البزار: "وأما رميك للجمار، فلك بكل حصاة رميتها تكفير كبيرة من الموبقات."

إنها الأجور العظيمة، وتذكر أن للإخلاص هنا أثر عظيم في تفاوت الأجور وعظمتها.

وقد رمى نبيك عليه الصلاة والسلام الجمرة الصغرى, وتقدم قليلاً ودعا دعاءً طويلاً.

ثم رمى الجمرة الوسطى، وتقدم قليلاً ودعا دعاءً طويلاً.

ثم رمي الجمرة الكبرى ولم يدع، فتأس به وأكثر من الدعاء بعد الجمرة الصغرى والوسطى.

وكان ابن عمر رضي الله عنهما إذا رمى الجمرات وقف يدعو طويلاً بقدر سورة البقرة.

دعوة مستجابة :

أيها الحاج: هنا دعا الصالحون فأجيبت دعواتهم، ورفعوا أيديهم فحُقّقت مطالبهم،

يقول أحد السلف: كنت أدعو ربي في هذا المكان أكثر من أربعين عاماً أن لا يكون هذا آخر العهد في هذا المكان فيوفقني الله إليه في كل عام فأرجع إليه, حتى كبر سني وضعفت قوتي، فاستحييت أن أدعو ربي هذا الدعاء، قال معاصروه: فمات من سنته رحمه الله تعالى.

يبيت الحاج في منى هذه الأيام متأسياً برسوله عليه الصلاة والسلام، وفي هذا إشارة إلى وجوب التسليم للرسول عليه الصلاة والسلام والطاعة لأمره. فهذه الليالي يبيت الحجاج في منى، وليلة النحر في مزدلفة، ونهار عرفة في عرفة يقفون ولا يتجاوزون حدودها, كل ذلك إشارات إلى وجوب التسليم والانقياد لرسول الهدى – عليه الصلاة والسلام –، الذي أمرنا الله تعالى بطاعته والتسليم لأمره، قال تعالى: (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ...) [الأحزاب: ٣٦]

فما بال تلك الدعوات ترتفع أصواتها للتمرد على الشرع وعدم الانقياد إلّا بعد معرفة العلل والأحكام منها. إن المؤمن الحق عبدٌ لله تعالى مطيعٌ له ولرسوله، لعلمه أن وراء هذه الأحكام ما تقصر عنه العقول، وتعجز عن فهمه، ولعمر الله إنها لحكم جليلة، وغايات عظيمة، ولكن أعظم الغايات الطاعة لله ولرسوله.

طواف الوداع :

وتحط رحال حجاج بيت الله الحرام، ووفده الكرام، في آخر أيام هذا النسك الجليل، ليطوفوا ببيته العتيق، ويودعوا هذا النسك بهذه العبادة العظيمة، ويرجوا الخير والثواب من الكريم يقول ابن عباس رضي الله عنهما: "أُمر الناس أن يكون آخر عهدهم بالبيت إلا أنه خُفّف عن الحائض." لقد طاف نبيكم عليه الصلاة والسلام حول هذا البيت في آخر حجه، معلم النّاس سنته. وطواف النّاس بالبيت آخر العهد فيه إشارة إلى وجوب تعظيم النّاس لهذا البيت العظيم.

فيبتدئ الحاج أول ما يدخل مكة بالبيت طوافاً ويختتم أعمال حجه بالبيت طوافاً. وليعلم النّاس عظمة هذا البيت، وجلالة مكانته عند الله تعالى.

بين الخوف والرجاء :

طف – أيها الموفق – ببيت الله وأنت تجمع بين الخوف والرجاء (ترجوه أن يعيدك إلى بيته مرات ومرات، وتخاف أن يكون هذا آخر العهد بهذا المكان) فاسأل ربك بصدق وعزم وحضور قلب أن يعيدك إليه وأن يُوفقك لزيارته وأن يتقبل منك.

الخاتمة رزقنا الله حسنها :

وبعد أيها الحاج الكريم، وأنت تقفل راجعًا إلى بلدك, قاصداً وطنك. تذكر فضل الله عليك وقد منّ عليك بإكمال هذه العبادة, وأداء هذا النسك العظيم. تذكر فضائله التي حزتها، وخيراته التي فزت بها، فمن باب الإحسان أن تستديم على الطاعة، وتستقيم على الهدى, وتلتزم طريق الشاكرين. تذكر بانقضاء الحج انقضاء حياتك تذكر برجوعك إلى وطنك رجوعك إلى وطنك الحقيقي(الآخرة) .
تذكر وقد عشت هذا الجو الإيماني، ورأيت من نفسك التزامًا بالأوامر، وعدم التعدي للحدود، أن الله قد طلب منك هذا على الدوام.

وتفكر في أن من أسباب الإعانة على هذه الطاعة هو الجو الإيماني الذي أحاط بك فاحرص على صحبة الأخيار وأنت واحد منهم ، ابحث عنهم في بلدك، والزم غرزهم، وتشبث بهم فهم خير معين على الطاعة. قال تعالى: (وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا)[الكهف٢٨]

كن من أهل صلاة الجماعة، ورواد المساجد الدائمين, كن محافظاً على السنن الرواتب التابعة لها، ركعتين قبل الفجر، وأربع قبل الظهر وركعتين بعدها، وركعتين بعد المغرب، وركعتين بعد العشاء.
أدِ صلاة الوتر قبل نومك، احرص على أذكار الصباح والمساء.
ليكن لك ورد ثابت من القرآن وأقله جزءاً في الليل والنهار.
أدعُ ربك في كل وقت وآن أن يثبتك على ما يحبه ويرضاه. تقبل الله منّا ومنك صالح العمل، وغفر لنا التقصير، وما حصل من الزلل.

وأستودع الله دينك، وأمانتك، وخواتيم عملك، وصلى الله وسلم على نبينا الكريم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.